

أوراق و فلسطينية

صورة الشرطي الإسرائيلي لدى الفلسطينيين في ثلاث جغرافيات: الضفة الغربية؛ القدس؛ الداخل المحتل

فيروز سلامة

كانون الأول، 2022



أوراق فلسطينية 9

كانون الأول، 2022

صورة الشرطي الإسرائيلي لدى الفلسطينيين في ثلاث جغرافيات:
الضفة الغربية؛ القدس؛ الداخل المحتلّ

فيروز سلامة

طالبة ماجستير في برنامج الدراسات الإسرائيلية في جامعة بيرزيت.

هيئة التحرير: إيناس خطيب، د. مهّد مصطفى.

التدقيق اللغوي: حنّا الحاجّ

العنوان: همغينيم 90 حيفا

البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org

رقم الهاتف: 04-8552035



الملخص:

ترمي هذه الورقة إلى دراسة صورة الشرطي الإسرائيلي لدى الفلسطينيين في ثلاث مناطق: الضفة الغربية والقدس والداخل المحتلّ، ودراسة كيفية تشكّل هذه الصورة، بناءً على سياسة الشرطة الإسرائيلية في تعاملها مع الفلسطينيين في المناطق الثلاث. فالشرطي الإسرائيليّ تتمثّل رمزيّته باعتباره جزءاً من المنظومة الإسرائيلية التي تسعى إلى السيطرة على الفلسطينيّ وضبطه باحتكارها عمليّة فصله وإقصائه، وتحويل وجوده في الحياة إلى دوامة من انعدام الأمن والخوف المستمرّ. هذه الرمزيّة هي أحد المُخرجات التي توصلنا إليها بعد اللقاء مع مجموعة (عيّنة بحثيّة) من الفلسطينيين من المناطق التي حدّدناها من أجل تحقيق هدف الورقة.

عملت إسرائيل على خلق شرعيّة رمزيّة منقوصة / مشوّهة عند الفلسطينيين لقبول أدواتها بالإكراه ومن خلال ممارسة القوة. على سبيل المثال، شكّل الشرطي الإسرائيليّ هو دليل على هذا النوع من الشرعيّة بحسب إعادة قراءة بورديو في السياق الفلسطينيّ الاستعماريّ. وتمثّلت هذه القراءة بإعادة تَمْذَجَة طرح بورديو بالتعامل مع الحدّ الثاني -الاعتراف- لرأس المال الرمزيّ، الذي لم تستطع إسرائيل تحقيقه لدى الفلسطينيين، وهو ما أدّى إلى تحويل رأس المال الرمزيّ الذي طُرِح بطريقة سابقة أو متزامنة للقوّة المادّيّة إلى رأس مال منقوص / مشوّه في السياق الفلسطينيّ بسبب تفوّق القوّة المادّيّة فيها على الرمزيّ، وهو ما يُشكّل معكوس طرح بورديو في حدّ الرمز الثاني، فهذه الحالة المعكوسة مقابل الحدّ الأوّل (المعرفة) الذي بقي على حاله أنتج حالة التشوّه. فهذا التفسير هو نتاج تفكيك حدّيّ رأس المال الرمزيّ، من أجل محاولة قراءة جدليّة وتعقيد الواقع الاستعماريّ في فلسطين.

1. إثنوجرافيا رقمية

تُمثّل رسمة الكاريكاتير التي رسمها الرسّام الإسرائيليّ جاي مُوراد، ونُشرت في صحيفة "يديعوت أحرونوت"¹، تعالّق مجموعة معقّدة من الدلالات. فمن جهة، رسَم هذه الرسمة الساخرة من الشرطة الإسرائيلية رسّامٌ إسرائيليّ ينتمي إلى المنظومة الإسرائيليّة التي توفّر له حرّيّة التعبير، والحماية والأمن التي تقدّمها الأذرع الأمنيّة على اختلافها بوصفه مواطناً إسرائيلياً، ومقابل ذلك فإنّ المنظومة ذاتها تستخدم الجهاز الأمنيّ المتمثّل بالشرطة من أجل احتكار السيطرة وإحكامها على الفلسطينيّ لإخضاعه. يمثّل الفلسطينيّ في الصورة بتوقيف الشرطة له نموذجاً للفلسطينيّ المقموع

1. نُشرت الصورة على حساب تويتر الرسميّ لعضو الكنيست أحمد الطيّبي: Ahmad_tibi (2020, 29@). كاريكاتير ممتاز لجاي مُوراد في يديعوت [تغريدة]. تويتر. [بالعبريّة].

من هذا الجهاز في أماكن وجوده الجغرافية في الداخل والقدس والضفة الغربية² هذه الصورة وما تحمله من دلالات رمزية هي انعكاس لطبيعة الواقع السياسي - الاستعماري الذي يعيش فيه الفلسطيني.

يجسد الشرطي في الرسمة نموذجًا للأداة الأمنية لدولة إسرائيل الاستعمارية وعلاقتها بالفلسطيني، والتي وُفق الرسمة تُمثل تهميش الشرطة للقضايا المركزية (كالجريمة وانتشار السلاح - على سبيل المثال) التي يعاني منها المجتمع الفلسطيني في القدس والداخل، بينما تركّز عملها داخل هذا المجتمع على ما تنتقيه من القضايا الهامشية دون غيرها، على نحو ما نجد في الحفاظ على تعليمات ارتداء الكمامات (في أوج جائحة كورونا) التي على الرغم من أهميتها لا تبلغ أهمية قضايا أخرى ملحة ومستمرة سبقت أزمة فيروس كورونا وازدادت خطورة خلالها ولم تتعامل معها الشرطة تعاملًا جديًا.

إنّ نقطة التقاء الفلسطينيين في مختلف أماكن وجودهم مع منظومة الشرطة غالبًا ما تكون في قضايا المرور والمخالفات. ولا يقتصر لقاء الفلسطيني في الداخل والقدس مع الشرطة على هذه القضايا فقط، بل يتمثل في المواجهة أثناء الاحتجاجات والتظاهر، على نحو ما حدث في مظاهرة أم الفحم (2021/1/29) ضد آلية عمل الشرطة في المدينة؛ فالشرطة تغيب عن المشهد إذا كان المتضرر عربيًا، وتكون حاضرة وبقوة إذا كان الحدث احتجاجًا قانونيًا (في غالب الأحيان) ضدها أو ضد ممارسات الدولة³.

تتناول هذه الورقة مسألة صورة الشرطي الإسرائيلي في عيون الفلسطينيين في ثلاثة مواقع جغرافية متصلة طبيعيًا منفصلة سياسيًا، وهي: الضفة الغربية والقدس والداخل، إلى جانب علاقة هذا التصور بقبول وشرعية الشرطي الإسرائيلي لديهم. ولتوضيح طبيعة هذه الصورة ومعالمها، أُستُخدم الفضاء الرقمي حيزًا للبحث والعمل، من خلاله حُدّدت عينة البحث لغرض هذه الورقة، وتوزعت العينة على المناطق الجغرافية الثلاث للوقوف عند علاقة المكان الجغرافي بتصور الفلسطيني للشرطي الإسرائيلي.

علاوة على ذلك، لم يقتصر دور الفضاء الرقمي على الاختيار والتحديد، وإنما أُستُخدم كذلك لإجراء المقابلات مع المشاركين عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات الرقمية (كتطبيق "Zoom" - على سبيل المثال). وتدرج آلية العمل هذه ضمن الإثنوجرافيا الرقمية، وقد تكون نوعًا من المحاولة لتقليل كلفة التنقل واستثمار الوقت، ومواكبة للتقدم الرقمي المتسارع وتوظيفًا له في العملية البحثية في العلوم الاجتماعية، فإذا كان ذلك منطقيًا في جوهره فإن استخدام هذه الطريقة في السياق الفلسطيني هو حاجة وبديل بسبب الأوضاع السياسية والأمنية. وقد لجأنا إليها لسببين أساسيين: (1) الإغلاق السائد في كل المناطق الفلسطينية، الخاضعة لدولة الاستعمار (إسرائيل) والسلطة الفلسطينية؛ (2) محدودية تنقل الباحثة، لأنها مواطنة في الضفة الغربية ولا تستطيع التنقل إلا بتصريح أمني بسبب الوضع الجيو-سياسي السائد.

تتعامل هذه الورقة مع منظومة الشرطة كجهاز أمني يبلور ويصقل أفراد هذه المنظومة اجتماعيًا وثقافيًا، ولكن ليس في سياق طبيعي فيه التنوعات والاختلافات، وإنما بسياق استعماري فيه تتكوّن التشكيلات الثقافية بمواجهة يومية بين المستعمر المهيمن والمستعمر الخاضع. يستند هذا إلى طرح بورديو النظري بشأن رأس المال الرمزي والشرعية الناتجة عن عمل رأس المال هذا في المجتمع، وعلاقته بالقوة المادية، وانعكاسه على فاعلية عمل أدوات الدولة المحتكرة على نحو حصري من الدولة نفسها باعتبارها السلطة العليا التي تستحوذ على جميع أنواع رؤوس المال المتكوّنة من رأس المال الرمزي، باعتباره الأساس في بلورة مختلف أشكال رؤوس الأموال الأخرى. بيد أن الاستخدام هنا

2. لم تشمل هذه الدراسة قطاع غزة كمنطقة جغرافية بسبب طبيعة الوضع الجيو-سياسي الخاص بالقطاع، ومواجهة سكان القطاع المستمرة مع الجيش الإسرائيلي لا الشرطة (موضوع الدراسة في هذه الورقة)، وذلك بسبب الحصار، والحروب، وعمليات قنص الفلسطينيين في مسيرات العودة من قبل جنود الجيش الإسرائيلي، وغير ذلك.

3. عرب48 [arab48official@]. مباشر من أم الفحم: الاعتداء على تظاهرة ضد الجريمة من قبل الشرطة [فيديو]. فيسبوك.
*ملاحظة: الحديث عن الاتصال الطبيعي بين المواقع الجغرافية قيد الدراسة هو باعتبارها كتلة جغرافية واحدًا، أي جغرافية فلسطين كوحدة طبيعية واحدة، قُسمت سياسيًا بسبب الاستعمار الإسرائيلي. والحديث عن الداخل هو إشارة إلى المدن والقرى الفلسطينية الواقعة داخل الخط الأخضر.

يعيد نَمْدَجَ بورديو في السياق الاستعماريّ (الذي تناوله هذه الورقة) المختلف عن السياق الذي عالجه الطرح النظريّ. وحدّدت الورقة المعايير التي ستقف من خلالها عند العلاقات بين متغيّرات سؤالها الرئيسيّ، وهي: الاحتكاك والتواصل؛ اللاشرعيّة؛ احتكار السيطرة.

2. بين بورديو وشرعيّة الشرطة: البناء الرمزيّ لشرطة الدولة الاستعماريّة الإسرائيليّة

لا يأتي استخدام طرح بيار بورديو في هذه الورقة حول منطق نشوء الدولة، الذي يدّعي أنّه يعتمد على مسيرة ومراكمة مختلف أنواع رأس المال، فبحسب ادّعائه، رأس المال المتراكم بجميع أشكاله -الاجتماعيّ والثقافيّ والمعلوماتيّ والاقتصاديّ وذي القوّة الماديّة الفيزيائيّة والرمزيّة- يمرّ في عمليّة تحوّل أثناء نشوء الدولة.⁴ أمّا إسرائيل، دولة الاستعمار الاستيطانيّ، فهي لم تُكْمِلْ مرحلة مسيرة ومراكمة رؤوس الأموال وتحوّلها لأنّها تتوسّع وتواجه الفلسطينيّ في استمراريّة دائمة، وتأتي الإشارة إلى طرح بورديو في سياق الحديث عن نمط دولة استعماريّة استيطانيّة لا ينطبق عليها هذا الطرح بصورة خطيّة مجرّدة، وإنّما من خلال مسارين مزدوجين مترابطين في ما بينهما ومشتقين من منطق نشوء الدولة الذي طرحه بورديو.

المسار الأوّل مشتقّ من تفسير بورديو بشأن مراكمة رأس المال الرمزيّ على نحوٍ مُوازٍ أو مسبقٍ لرأس مال القوّة ومختلف أنواع رؤوس الأموال من أجل وجود الدولة. ففي حالة إسرائيل، التي هي نتاج تطبيق مشاريع الحركة الصهيونيّة، قد انبثقت في بدايتها وفق هذا الطرح، فكان الفكر القوميّ الذي تبنته الحركة الصهيونيّة وشرعيّة الحاجة إلى وجودها بحسب منطق الحركة الصهيونيّة الدافع نحو تأسيسها. أمّا المسار الثاني، المضاف إلى نَمْدَجَ بورديو والذي سيُستخدم لدراسة الجهاز الأمنيّ (الشرطة) الإسرائيليّ في هذه الورقة، فهو يعتمد على المسار الأوّل - التأسيسيّ. والدولة في حالة إسرائيل هي دولة استعماريّة توسّعيّة لم تكتفِ ولم تنتقل من حيز أدوات الانبثاق الأوّل، فهي ما زالت تُراكم وتحتكر رؤوس الأموال لا لترسيخ وتعزيز شرعيّة وجودها الفعليّ فحسب، بل كذلك لمواجهة الأصلاّيين بالحيز الجغرافيّ الذي استعمرته، الأصلاّيين الذين واجهوا مرحلة انبثاقها الزمنيّ الأوّل عام 1948 ولم يستطيعوا منعها، وهم الفلسطينيّون الذين يشكّلون حاجز عرقلة في إنفاذ فاعليّة رأس المال الرمزيّ في حدّي المعرفة والاعتراف به.

فتفسير بورديو لأنواع رأس المال وتركيزها وتحوّلها أثناء نشوء الدولة يتمثّل في أنّ رأس المال الرمزيّ هو الشكل الأساسيّ الذي يمكّن الدولة من مراكمة سائر أنواع رؤوس الأموال وتوظيفها لممارسة وجودها. فرأس المال المتمثّل بالقوّة الماديّة الفيزيقيّة لا يتراكم دون مراكمة مسبقّة أو متزامنة لتراكم رأس المال الرمزيّ.⁵ وذلك لأنّ رأس المال الرمزيّ عبارة عن علاقة بين رأس المال وفاعلين اجتماعيين يعرفون ويعترفون برأس المال الرمزيّ الذي يقع في حدّي المعرفة والاعتراف، وهو ما يُفضي إلى الشرعيّة والمشروعيّة في سلوك الدولة.⁶ وهذا التفسير وفّق المسار الثاني الذي وضحنا سبب استحداثه في إعادة نَمْدَجَ بورديو هو الحدود النظرية لهذه الورقة، ومن خلاله سنتناول البناء الرمزيّ لشرعيّة الشرطة. تُعتبر الشرطة أداة الحفاظ على الأمن الداخليّ لدولة الاستعمار إسرائيل، وبالتالي رمزيّة الشرطة الإسرائيليّة عند الفلسطينيّين هي نقيض طرح بورديو لدور رأس المال الرمزيّ في بناء الشرعيّة، فما حصل هو بناء رمزيّ لمنظومة الشرطة الإسرائيليّة يقود إلى لاشرعيّة أداة الحفاظ على الأمن الداخليّ في الدولة الاستعماريّة بحسب السكّان الأصلاّيين -الفلسطينيين.

تُعتبر الدولة سلطاناً فوق كلّ سلطان، أي إنّها تحتكر رأس المال الذي لديها للسيطرة على باقي أشكال رؤوس الأموال

4. بورديو، بيار. (2016/2012). عن الدولة: دروس في الكوليج دو فرانس (1989-1992) (ترجمة نصير مرّوة). بيروت / الدوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات. ص 333-338.

5. المصدر السابق. ص 347.

6. المصدر السابق. ص 331-333.

الأخرى.⁷ فهي تنبثق كأداة لتنظيم المجتمع الذي هو حيز تركيز وممارسة العنف الماديّ بطريقة تُخوّل الدولة ضبطه والسيطرة عليه.⁸ يَحْدُثُ هذا أثناء توحيد المجتمع وهندسته المقبولة على المجتمع، وبذلك تتحقّق السيطرة من خلال احتكار مختلف أشكال رأس المال التي باتت أدواتٍ تستخدمها الدولة للسيطرة على أفرادها.⁹

وفي حالة إسرائيل، فإنّ تنظيمها الاجتماعيّ يمرّ في مستويّين: المجتمع اليهوديّ، المستعمر (وهو خارج نطاق هذه الورقة)؛ والمجتمع الفلسطينيّ في المناطق الواقعة تحت سيطرتها القانونيّة المباشرة (القدس والداخل)، وفي المناطق الخاضعة للسيطرة القانونيّة العسكريّة (المناطق الخاضعة لقوانين السلطة الفلسطينيّة). فهذه المواجهّة مع الفلسطينيّين في عمليّتيّ الدمج والتكامل تتمثّل في قمع الفلسطينيّين وفصلهم بالتعامل معهم كخطر أمنيّ، في محاولة لمحوهم ثقافيّاً وماديّاً وُفق منطقة وجودهم الجغرافيّة. هذا الفصل والإقصاء هو الهندسة التي تقود الدولة لتحقيق احتكارها رأس المال (الأرض المستعمرة والإنسان الذي عليها). وبالتالي، آليّة تعامل منظومة الأمن الإسرائيليّة (الشرطة) مع الفلسطينيّين هي نموذج لآليّة عمليّة الاحتكار.

يطرح إيان لودر (Ian Loader)¹⁰ المشاعر الشعبيّة تجاه الشرطة باعتبارها جزءاً من التصنيفات الثقافيّة في الحياة الاجتماعيّة، التي لا يمكن تجاهلها أثناء دراسة علاقة المجتمع مع منظومة الشرطة.¹¹ يستند لودر في طرحه هذا إلى مفهوم القوّة الرمزيّة الذي ذكره بورديو وعلاقته بصناعة مشاعر أصحاب الهويّة الوطنيّة الإنجليزيّة تجاه منظومة الشرطة؛ إذ إنّ جذور هذه القيم التي بناها الأفراد تجاه منظومة الشرطة تعود إلى خمسينيّات القرن الماضي، فالشرطة في مخيالهم ترتبط بإحلال الأمن والنظام وبمحاربة الآخر (العدوّ أو المجرم - على سبيل المثال) الذي ينفذ من خلال المعاقبة التي لا تعكس فقط ماديّة فعلها، وإنّما تعكس كذلك رمزيّة المرتبطة بمركزيّة الشرطة. وقوّة هذه الشرطة لا تُستمدّ من دَوْرها فحسب، وإنّما كذلك من الأدوات والرموز التي تعكس شخصيّتها وتمثّل تأدية دَوْرها، فترويج هذه الرمزيّات التي اعتمدها الدولة هو جزء من عمليّة بناء شرعيّة الشرطة في المجتمع.

في السياق الأدواتيّ ذاته حول الشرطة ورمزيّتها الذي طرحه لودر، هذه الأدوات هي ذاتها التي تعتمدها الدولة الإسرائيليّة في بناء الشرعيّة لجهاز الشرطة وتعزيز دَوْره في المجتمع لتحقيق الأمن والنظام الداخليّ، بيّد أنّ هذه الرمزيّات تعمل على صناعة النقيض لشرعيّة الشرطة الإسرائيليّة لدى الفلسطينيّين. فأدوات الشرطة "بما يشمل تجهيزاتهم الماديّة" تسهم في بناء لاشرعيّة الشرطة الإسرائيليّة لدى الفلسطينيّين، لأنّ عملها المرتبط بتحقيق الأمن والنظام¹² غير ملموس لديهم، فضلاً عن تهديد "أسلحة الشرطة" لهم وتعريض حياتهم للخطر. تقول سمر¹³ (من قرية عيلين في الداخل الفلسطينيّ) عن سلاح الشرطة وشعورها تجاهه:

السلاح: بخاف وبحسّ تهديد. كثير بُمَرَق من محلّات فيها جنود أو شرطة، ودايمًا في تهديد، بأيّ حركة غلط، بأيّ تصرّف، أو تصرّف ممكن يفهم غلط بتكون بتهديد. كثير مشاعر سلبية وبحسّسك إنو إنت حدا ضعيف وصغير، لدرجة بخاف كيف تنصّر في مكان ابن 18 حامل سلاح وإله أحقيّة يستخدم سلاح دون ضوابط. لو شكّ فيكي ممكن ما يتهاون بلحظة إنو يقتلك.

ولمن موجّه هذا السلاح؟: إننا. ما بحسّ إنو هاد السلاح موجّه بس لبني آدم يلي ممكن يسبّب "ضرر"، إننا كلنا أيّ حدا، يعني إحنا شهدنا على هاد الإشي كثير، خلال الفترة اللي أنا عشتها واللي ما عشتها وسمعت عنها. أيّ حدا معرّض، مجرد مبين على وجهو عربي. في إشي كثير بضحك قصّة

7. المصدر السابق. ص 340-343.

8. المصدر السابق. ص 356.

9. المصدر السابق. ص 382-398.

10. Loader, Ian. (1997, March). Policing and the social: Questions of symbolic power. *The British Journal of Sociology*, 48(1). Pp. 1-18.

11. Ibid. P.2

12. Ibid. P.3.

13. ملاحظة: أسماء الأشخاص الواردة في الورقة أسماء مستعارة، ولكن أرشيف الأسماء محفوظ لدى هيئة التحرير في مدى الكرمل.

سمعت عنها، الشرطة طحّوا واحد اشتبهوا إتو عربي، وطلع يهودي يمّني. إتو لمجرّد إتو منظر عربي
إنت مهّدّد إتو يتصرّفوا معك بطريقة بشعة ويطحّوك.¹⁴

أجمع المشاركون/ات على أنّ السلاح الذي يحمله الشرطي موجّه ضدّ العربيّ الفلسطينيّ؛ فهو الآخر والعدوّ اللذان يحاربهما الشرطيّ الإسرائيليّ من أجل فرض الأمن والنظام.¹⁵ إلى جانب ذلك، إدراك الفلسطينيّ لموقعه من العمل الشرطيّ والأمنيّ داخل المجتمع يقوده إلى بناء تصوّر أنّ كلّ ما يرتبط بمنظومة الأمن هو لحماية أمن الإسرائيليّ / اليهوديّ على حساب أمنه هو (الفلسطينيّ).

تستمدّ الشرطة شرعيّتها من ثقة المواطنين بها وبعملها، ومن مدى التزامهم بتنفيذ أوامرها، غير أنّ مفهوم هذه الشرعيّة أثار وما زال يثير جدلاً ونقاشاً بين مفكّري علم الاجتماع. فبالنسبة إلى تايلر، تصوّر الشرعيّة أنّها غير مرتبطة فقط بالالتزام لدى السلطات القانونية، وإنّما هي أيضاً التزام متصوّر للطاعة، بينما فرّق آخرون بين الثقة وعلاقتها بمدى التزام المواطنين تجاه الشرطة. في المقابل، وضح ووردن ومكّلين أنّ الثقة والالتزام مفهومان نفسيّان واجتماعيّان، وأنّ الثقة التي يحملها المواطن تجاه الشرطة هي ملكه هو، وبذلك تختلف هذه الثقة عن مفهوم الثقة على المستوى المؤسّسيّ؛ فشرعيّة المؤسسات وعنصر الثقة هما أوسع وأكثر تفرّعاً من حصرهما في إطار الفرد فقط، إذ إنّ هذه الشرعيّة مرتبطة حصراً بوجود المؤسسة التي قد تفقد وجودها إذا فقدت شرعيّتها.¹⁶

عملية تشكيل الثقة تجاه الشرطة بالنسبة للأفراد مرتبطة بالتعاملات الشخصية المباشرة مع الشرطة والتنشئة الاجتماعية وانعكاس تصوّر الأهل على الأطفال؛ فهذه التفاعلات الاجتماعية تسهم إمّا في ازدياد الثقة تجاه الشرطة وإمّا في نقصانها.¹⁷ وفي هذا الصدد، فإنّ صورة الشرطة الإسرائيليّة التي يراها الفلسطينيّ -في الداخل وفي القدس- لا تعكس أيّ ثقة، وذلك بسبب طبيعة الاحتكاك المباشر بين الجهتين التي تقتصر على توقيفهم واعتداء الشرطة عليهم أو تحرير المخالفات لهم، علماً أنّ الشرطة هي أداة من أدوات احتكار القوّة والسيطرة للدولة لتوفير الأمن والأمان والنظام، بيدّ أنّه في الحالة الفلسطينيّة يتمحور عمل الشرطة تجاه الفلسطينيّ في الجانب الأمنيّ في غالب الأحيان. هذه التفاعلات بين الفلسطينيّ والشرطيّ الإسرائيليّ تُفرض الشرعيّة المنشودة من الثقة، وهي أحد عناصرها الأساسيّة، ممّا يخلق لدى الفلسطينيّ شعوراً نفسيّاً نقيضاً يتمثّل في انعدام الثقة بالشرطة الإسرائيليّة، وبالتالي في اعتبارها غير شرعيّة. وإذا عدنا إلى حدّي رأس المال الرمزيّ اللذين نظّر لهما بورديو -المعرفة والاعتراف- نجد أنّ الشرطة الإسرائيليّة كوسيلة من وسائل تحقيق الأمن والنظام التي تحتكرها الحكومة جعلت الفلسطينيّ فاعلاً اجتماعياً على معرفة بعمل جهاز الشرطة (الحدّ الأوّل لرأس المال الرمزيّ الذي تحدّث عنه بورديو)، وذلك من خلال الواقع الذي يعيشه الفلسطينيّ، بيدّ أنّهم لا يعترفون بشرعيّة جهاز الشرطة (الحدّ الثاني لرأس المال الرمزيّ وفقاً لبورديو)، بينما ينبع عدم الاعتراف واللا-شرعيّة، إلى جانب المعرفة، من تركيبة الفلسطينيّ الاجتماعيّة والنفسيّة. هذان الحدّان، المعرفة وعدم الاعتراف، أنتجا رأس مال رمزيّاً مشوّهاً ومنقوصاً.

صراحة، من أسبوع ونصّ صار في احتكاك مباشر، هو الفكرة هو كان في حريق بغرفتي وأنا بالقدس واضطريت أتصل بالإطفاء، وهنّي مباشرة لمّا تتصلي فيهم بتصلوا بالشرطة، وكانوا يسألوا فيّ ويحاولوا يلففوا الجوّ. أنا كلّ الوقت وهنّي بتعاملوا معنا بالصورة المنيحة، كنت مش حاسّة الإشي لطيف، لآتو براسي بزبطش التعامل بهاي الصورة، بحدث ثاني ما كانوا رح يتعاملوا بهاي الصورة... طلبوا الهوية، صرت أسألهم ليش، وأنا كنت أتعامل معهم بصورة "مش أخذ وعطا".¹⁸

14. ود. 23 سنة، من قرية عبّين.

15. Loader, Ian. Ibid. P. 8.

16. Worden, Robert E., & McLean, Sarah J. (2017). *Mirage of Police Reform: Procedural Justice and Police Legitimacy*. University of California Press. Pp. 42-68.

17. Ibid. P. 48.

18. رن. 24 سنة. من الناصرة، وتسكن حاليّاً في مدينة القدس.

3. بين المعرفة ورفض الاعتراف: في سياسة الشرطة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين

يناقش هذا القسم التطبيق العملي للقسم السابق، جاعلاً من الهوية وتحديدها مدخلاً لفهم الكيفية التي بها يبني ذوو الهوية المحددة علاقتهم مع الشرطة من خلال طبيعة الاحتكاك والتواصل مع الشرطة.

فالهوية من وجهة نظر الباحثين رو وروشييه هي الأساس الذي يُنظر من خلاله إلى الشرطة ومن خلاله تُحدّد طبيعة العلاقة بها،¹⁹ ففي دراستهما استندا إلى أنّ الهوية العرقية تمثّل منطق تشكيل العلاقة بين جهاز الشرطة وسكّان الضواحي في فرنسا، ونظرة سكّان الضاحية إلى الشرطة.

إنّ تعامل الشرطة مع هؤلاء الأفراد عند تفتيشهم، أو عند السؤال عن بطاقات هويّاتهم، هو بمثابة تجارب تعمل على بناء هويّة الأحياء كجماعة عرقية لها صراع جماعيّ مع الشرطة، إذ ينظر سكّان الأحياء إلى الشرطة باعتبارها عدوّ الأحياء.²⁰ الفلسطينيون من جهتهم يتعاملون مع الشرطة الإسرائيليّة من منظور هويّتهم الوطنيّة الفلسطينيّة، والشرطة الإسرائيليّة تتعامل معهم وفق نوعيّة عرقهم الاجتماعيّ "عرب - فلسطينيّين"، سواء أكان ذلك في الداخل والقدس كمجمعات كاملة، أم في مناطق الضفة الغربيّة كأفراد على نحوٍ فرديّ.

لذا، يكون منطق تعامل المنظومة الأمنيّة الإسرائيليّة مع الفلسطينيين بناءً عليهم "هم" كعقبة في السيطرة على أكبر مساحة من الأرض، لا على أساس مكان وجودهم الجغرافيّ؛ ففي القدس يجري التضييق على السكّان في سبيل إفراغها، وفي الضفة الغربيّة تجري المواجهة على نحوٍ يوميّ مع مشاريع الاستيطان المستمّرة، وفي الداخل المحتلّ تجري المواجهة من خلال محوهم ثقافيّاً أي إفراغهم من معاني هويّتهم ومحاولة دمجهم لاحتكار السيطرة عليهم.

تتمثّل الحالة الثنائيّة الجدليّة هنا في أنّ إسرائيل تحاول دمج الفلسطينيين في الداخل والقدس ضمن مؤسّساتها المختلفة، وضمن ممارسات الحياة اليوميّة، وذلك ابتغاءً صهرهم وإعادة إنتاجهم بالشكل الذي لا يعارض سياستها، ما دامت لا تستطيع التخلّص منهم جسديّاً، وبالتوازي تتميّز سياسة الشرطة تجاه الفلسطينيين بالتعامل العنصريّ والعنيف باعتبارهم العدوّ الأوّل، وبذا فإنّ عمليّة الدمج لأجل السيطرة تتحوّل إلى إقصاء لأجل السيطرة، وقانون القوميّة هو مثال على ذلك.²¹

هذه الحالة الثنائيّة الجدليّة تُفضي إلى تنامي الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة، وتحوّلها إلى عدسة يرى الفلسطينيون من خلالها الشرطة الإسرائيليّة ويحدّد معالمها وطبيعة علاقته معها. تتشكّل الهويّة من ثلاثة عناصر هي الأرض والناس والرواية،²² والرواية بمدلولاتها الثقافيّة هي رأس مالها الرمزيّ المنبثق عن التفاعلات الاجتماعيّة والثقافيّة في حياة الفلسطينيين، وهي ما يربط بين مادّيّة عنصر الأرض ومادّيّة عنصر الناس. فرواية الفلسطينيين حول مفهوم "الشرطيّ الإسرائيليّ" باعتباره جزءاً من المنظومة الاستعماريّة الإسرائيليّة هي عودة إلى رواية النكبة باعتبارها الحدث البنيويّ الأساسيّ في هويّة الفلسطينيين ووعيهم، وهذه الرواية التي تغدّت وتغدّي من مراكمة مادّيّة وثقافيّة تاريخيّة وما زالت تتراكم²³ هي البناء الرمزيّ الحاضر لصورة الشرطيّ الإسرائيليّ في ذاكرة الفلسطينيين.

19. Roux, Guillaume, & Roché, Sebastian. (2016). The police identity phenomena in French suburbs: Between ethnicity and territory (Cadenza Academic trans.). *Revue Française De Science Politique* (English Edition), 66(5). Pp. 21-42.

20. Ibid. P. 24.

21. غانم، هنيّدة (محرّرة). (2019). "قانون أساس إسرائيل الدولة القوميّة للشعب اليهوديّ" **الوقائع والأبعاد**. رام الله: المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة "مدار". ص 103-104.

22. الشيخ، عبد الرحيم. (2013). الهويّة الثقافيّة الفلسطينيّة: "المثال" و"التمثيل" و"التمائل". لدى خليل، شاهين (محرّر). **التجمّعات الفلسطينيّة وتمثّلاتها ومستقبل القضية الفلسطينيّة - المحور الأوّل: الفلسطينيون - الهويّة وتمثّلاتها، سلسلة وقائع المؤتمر السنويّ الثاني (1)**. رام الله: مسارات: المركز الفلسطينيّ لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجيّة. ص 70.

23. المصدر السابق. ص 76-77.

كانت ذروة الصدام بين الفلسطينيين في الداخل والشرطة الإسرائيلية أثناء الانتفاضة الثانية، أو ما يُطلق عليها هبة أكتوبر عام 2000، واستشهد ثلاثة عشر فلسطينياً يحملون الهوية الزرقاء، والتعاقب الزمني على هذا الحدث لم يُمخ عن ذاكرة الفلسطينيين، بل حافظوا عليه وحولوه إلى جزء من رواية هويتهم التي تحتضن معاني ورموز هذا الحدث في داخلها. وعلى ذلك، فإنّ هذه المحتويات هي التي حدّدت رمزية الشرطة الإسرائيلية لدى الفلسطينيين، وهو ما ينعكس بتعبيرهم عن الشرطة بالضمير "هُم":

كيف إنّو المفروض يكون البوليس إنّو يحمينا، إذا صار شغلة معنا البوليس لازم يحمينا، بأيّ دولة بالعالم لّمّا أيّ حدا يواجه مشكلة، الحدا اللي بتوجّهلو هو البوليس. بس إنّا فيه عنصريّة، البوليس بتحمّس مش كلّ الناس بعاملهم نفس الشّي. إذا سمعتي عن الصبيّة اللي توقّت /انقتلت بسخنين، كانت حاكية مع البوليس قبل بجمعة، بس إنّو حاكية مع البوليس كان ما تمتش، بس إنّا عايشين هيك لا شك، هيك.

مش كلّ البوليسيّة نفس الإشي. بقدرش أنكر إنّو في بوليسيّة عن جدّ مناح، اللي عن جدّ لأجلنا حتّى إنّا العرب. بس بقدرش أقول إنّو البوليس مش عنصريّة ضدّنا إنّا كأقليّة في المجتمع، إنّو بهتمّش لشؤوننا زيّ ما بهتمّ بشؤون اليهود. طبعًا بقدرش أحكي إشي مؤكّد لأنّو بعدي لسا 18 سنة ومش طالعة ومش شايقة، يعني بلّشت تعليم من البيت ع الزوم كلّو ومش مواجهة إشي، بس من الإعلام وزّيّ ما بشوف البوليس بالقدس، وبالضفة وبهاي المحلّات، بتبروش بوليس، البوليس مش هيك، البوليس بقتلش، البوليس مش مسموحلو يعتدي على حدا، فاهمة عليّ؟ بحسّ دورو فيّو تناقض، يعني أنا بالأخر مواطنة بالدولة، بالأمر المدتيّة هو المفروض يحميني، بس أنا مش كثير بحسّ بالأمن منو أو رح يحموني، بس أنا إنّا ولا مرّة التجأت للشرطة. حدا بشتغل ضمن المؤسسة الإسرائيلية، وبيؤدّي خدمات... هو إسرائيلي قبل ما يحامي عني.²⁴

ليش بتشوفيه بهاي الطريقة؟ أه طبعًا بتعرفي عنّا سياق طويل مع الشرطة الإسرائيلية. عنّا الانتفاضة الثانية، والشباب اللي قتلوهم واستشهدوا هدول البوليس كان شريك فيهم. وبدون وجه حقّ قتلوهم، وبعدها في كمان استشهدوا زيّ خير حمدان ويعقوب أبو القيعان، وفي حالات قتل بغير وجه حقّ ومش لازم تقتل، والشرطة إيدها خفيفة على الزناد للعرب أو الفلسطينيين في الداخل. وللنساء خصوصًا، يعني أنا بس سمعت محادثة البوليس مع الستّ اللي انقتلت في عرابة، واضح قديش كان متعالي ومتعجرف وبدّوش يحميها، مش عم يتعامل معنا بشكل جدّي، وأنا مش كثير بوثق فيه وممكن ألجأ إلو كحلّ أخير، أو مش كحلّ أخير بس مش هو أوّل إشي في ببالي، إنّو ممكن مثلاً إن تعرّضت لإشي، ممكن أتوجّهلو إن تعرّضت لإشي بغضّ النظر، ممكن يكون منيح وممكن يكون مش منيح وغالبيتهم مش مناح، ويمكن ما يجي لأجلي بس ضدّي، يعني مش ضدّي، بس ما يعمل زيّ ما أحتاج، يعني كبتت أنا عربيّة بتصرّف معي غير شكل عن البنت اليهوديّة، يعني لو أنا حكيتلو بتعرّض لعنف ويهوديّة بتعرّض لعنف، يتوجّهلها غير عن توجّهو إلي. عم أحكي عن البوليس اليهودي. أنا ضدّ إنّو واحد عربي يكون بوليس، بس برضو ممكن يجوا أهون من اليهود معنا العرب.²⁵

إذا بدّي أحطّ مواقف الوطنية وكلّ هاي الشغلات على جنب، بتوقع إنّو هو فقط إنسان طبيعي عندو شغل آخر النهار بروح ع بيتو. بس إذا بدّي أحطّ تصوّري كمقدسيّة، إنسان هو عدوّ طبعًا، إنسان مش من دائرتي ومش من حياتي أو تركيبتني كمقدسيّة عربيّة فلسطينيّة، بس إذا بدّي أشيل هاي العدسة، هو إنسان متساوي لإلي، لأنّي أنا بالجامعة بروح أتعلّم هو /هي بتقعد جنبي، بس مرّات بصير عندي

24. م. هـ. 18 سنة. من قرية عيلبون.

25. س. هـ. 25 سنة. من سخنين.

ازدواجية كيف بدّي أعرف هاد الإنسان إللي قبالي، بأيّ عدسة بدّي أشوفو، هل بعدستي كمقدسية، أو كإنسان عادي عندو بنات، عندها حياة، عندها شخصيّة تانية زوج خارج الزيّ الرسمي تبعها [...] كتعريف: أداة من أدوات تنظيم الاحتلال. بكلّ العدسات اللي ممكن أشوفو / أشوفها فيها.²⁶

في حالة الواقع المفروض قسراً، يعرف ويعترف الفلسطينيون كفاعلين اجتماعيين في الدولة الاستعمارية بوجود منظومة الشرطة كجزء من أدوات الدولة، إلا أنّ شرعية هذه الشرطة مفقودة لديهم، والثقة بالشرطة معدومة، والشرعية التي يمنحها الفرد الذي يعيش ضمن النظام الاجتماعي الاستعماري هي ملكيّة فردية، ولذا يرفضون منحها للشرطة واعتبار وجودها طبيعيّاً، ولم تنجح الدولة وأدواتها المادّية في خلق رمزيّة قبول لدى الفلسطيني.²⁷

وللتغلب على هذا الإخفاق، طرح بن پورات ويوفال²⁸ وسائل من أجل تحسين وإصلاح مؤسسة الشرطة الإسرائيليّة، سعياً لإحقاق شرعيّتها المفقودة لدى الفلسطينيين مواطني دولة إسرائيل. يحاول طرحهما معالجة حالة التشوّه والشرعية المنقوصة، وذلك من خلال إصلاحات تتمثّل بتجنيد العرب في الشرطة، وكشف ضبّاط الشرطة على الثقافة العربيّة من أجل الوقوف على الاختلافات الثقافيّة ومدى حساسيّتها، وتأثيرها على آليّة عمل منظومة الشرطة في المجتمع الفلسطينيّ.

يعتبر الباحثان هذه الإصلاحات مهمّة لأنّها تعمل على حلّ المشاكل بين الشرطة الإسرائيليّة والفلسطينيين في الداخل نتيجة سياسات الشرطة تجاههم، والتعامل معهم على أنّهم تهديد دائم، واستخدام القوّة المفرطة ضدّهم، وتجاهل الأداء الوظيفي في مناطقهم وإهمالها.²⁹ فتحقيق هذه الإصلاحات قد يُفضي إلى إعادة النظر في مدى شرعية الشرطة بنظر العرب الفلسطينيين في الداخل، بيد أنّ قرار تجنيد العرب ليس بالقرار السلس؛ فوفق النتائج التي قدّمها الدراسة ثمة جدل حول قبول فكرة انضمام الفلسطينيين (مواطني دولة إسرائيل) إلى الشرطة الإسرائيليّة أو عدم قبولها، ومدى نجاح ذلك في تغيير نظرة الفلسطينيين للشرطة.³⁰

في السياق ذاته، توجّه الشرطة الإسرائيليّة إلى الفلسطينيين مبنيّاً على الفروق الثقافيّة بين الطرفين، وعلى أساس ذلك تُمارس الشرطة العنف ضدّهم، وهو ما يؤدّي إلى تنمية مشاعر سلبية لدى الفلسطينيّ تجاه الشرطة. يرى الباحث حسيبي³¹ أنّ العلاقة بين العامل الثقافيّ ودوره في تشكيل صورة الشرطيّ الإسرائيليّ عند الفلسطينيّ قائمة على فاصل بين السياسيّ والثقافيّ، اللذين يصعب الفصل بينهما قطعاً، قد يُفسّر سبب سياسة الشرطة الإسرائيليّة العنيفة تجاه الأقليّات، والتي تحتاج بدورها إلى إصلاح. ويتمثّل هذا الفاصل بتعدّد الاختلافات الثقافيّة المتباينة بين الشرطة الإسرائيليّة وسياستها العنيفة تجاه العرب الفلسطينيين من جهة، وداخل المجتمع العربيّ من جهة أخرى، وهو ما يحوي بداخله العديد من التقسيمات (دروز؛ مسيحيين؛ مسلمين) التي تتباين في مواقفها تجاه الشرطة الإسرائيليّة.

وعلى الرغم من عدم الميّل نحو خيار التعميم، فإنّ التوجّه الغالب في علاقة المجتمع الفلسطينيّ في الداخل والشرطة هو عدم القبول بسلوكها تجاههم وعدم الاندماج فيها كليّاً، وقيامهم بتحويل ممارستها إلى تشكيلات ثقافية على نحو ما نجد في أغنية جوان الصفدي "البوليس مش بوليسنا" التي تُعدّ جزءاً من رواية الفلسطينيّ. وهي انعكاس لطبيعة هذه العلاقة بين الشرطة والفلسطينيين، وتجسيداً للتوجّه الذي لا يعترف ويرفض منح الشرطة الإسرائيليّة شرعية على الرغم من إقراره بوجودها.

26. أ. ي. 23 سنة. من بيت حنينا - القدس.

27. Worden, & McLean. P.53.

28. Ben-Porat, Guy, & Yuval, Fany. (2012). Minorities in democracy and policing policy: from alienation to cooperation. **Policing and Society**, 22(2). Pp. 235-252.

29. Ibid. P.8.

30. Ibid. Pp.12-16.

31. Badi Hasisi, Badi. (2008, Spring). Police, politics, and culture in a deeply divided society. **The Journal of Criminal Law and Criminology**, 98(3). Pp. 1119-1145.

"البوليس مش بوليسنا

الرئيس مش رئيسنا...

لمين بدك تشكي لمين

لما البوليس مش بوليس...

البوليس ما بيحمينا

بيحمي اللي بينهبوا فينا

راحت كل أراضينا

بس عننا سجون يتكفيننا"³²

4. المكان والمواجهة: حرس الحدود وشرطة المرور

يمثل حرس الحدود النسخة شبه العسكرية من قوة الشرطة النظامية، ويتبعون لقيادة الشرطة الزرقاء. تسهم هذه القوة، كما الشرطة، في بلورة صورة أجهزة أمن الدولة التي يراها الفلسطينيون.³³ فعملية التواصل والاحتكاك بين الفلسطينيين وأدع الشرطة الإسرائيلية (نحو: حرس الحدود على الحواجز؛ شرطة المرور على الطرق...) تمثل القاسم المشترك بين الفلسطينيين في مختلف المناطق الجغرافية التي حدتها الورقة أثناء عملية تنقلهم بين مختلف المناطق الجغرافية، سواء أكان ذلك من خلال عملية مشاهدة الجهاز الأمني أثناء التنقل، أم من خلال حدوث فعل يتجاوز المشاهدة فقط ويؤدي إلى احتكاك مباشر معه.

تختلف طبيعة الاحتكاك والمواجهة الأمنية بين الفلسطينيين وأدع الأمن الإسرائيلية بحسب المنطقة الجغرافية؛ فالضفة الغربية تلتقي بالجيش الإسرائيلي على اختلاف وحداته، وبحرس الحدود، على شكل مواجهة عسكرية مباشرة وبوتيرة أعلى من لقاءها بشرطة المرور التي يقتصر عملها في مناطق الضفة الغربية على تنظيم الطرق وتحرير المخالفات وضبط وجود الفلسطينيين في المناطق المخصصة لهم بعيداً عن المستوطنات. أما في القدس، فإن الاحتكاك والمواجهة هما مع قوتين تنظيميتين: الشرطة النظامية، وحرس الحدود التي تمارس دوراً شبه عسكري، لأن القدس وضواحيها تُعتبر مركز مواجهة يومية مستمرة.

وفي حين ركز القسم السابق على الفلسطينيين في الداخل المحتل في مواجهتهم المباشرة للشرطة لا حرس الحدود، فإن هذا القسم سيركز على منطقة القدس والضفة الغربية التي يبرز فيها هذا العنصر الأمني (حرس الحدود). وقد لاحظنا في المقابلات مع مجموعة الفلسطينيين من الضفة الغربية أن تصوّرهم لمنظومة الشرطة لا يتوقف عند اعتبارها جزءاً من أمن الدولة الاستعمارية، وإنما تُعتبر كذلك رمزاً لوجود الدولة الاستعمارية الفعلي التي تمارس القمع والسطب يوميًا.

بالأحر هو بغير حق، دولة فعلياً مش موجودة. جاي يخالفني، وبشكل حقير بعامل الناس. فما فيه أيّ تهاون مع الناس، وبكلّ طريقة حقيرة ولثيمة بتعامل مع الناس والشوفير، ومن وقفته يكون مبين ناوي على الشرّ، ومش هدفه يطبق قانون، هدفه يعرقل حياة الناس. هو حامي قانون من لا قانون له. هو فعلياً زيّ حارس قوانين دولة مش دولة، معاملته مع الشعب تاعه اليهود غير عن "هاض" [إشارة للعربي]، فهو عنصرّي واضح وبحت. أنا قابلتهم في طريق رام الله وبرزوا قابلتهم في القدس، اختلاف كليّ. غير عن شرطتنا، بعاملوك هان في الخليل نفس المعاملة. شرطتهم في القدس يعني عندهم يعني بين مواطنينهم اختلاف كليّ، بساعدوك كأنك مواطن منهم. عنّا لا غير؛ بضلّ يحقّق معك تيعرف من وين إنت، هاي القرية فيه مواجهات بينه وبينهم بدو يعرف كلّ إشي.³⁴

32. جوان صفدي: فتان فلسطيني من مدينة الناصرة للاستماع إلى الأغنية: <https://bit.ly/2MP5TIA>

33. Weisburd, David; Jonathan, Tal, & Perry, Simon. (2009). The Israeli model for policing terrorism: Goals, strategies, and open questions. *Criminal Justice and Behavior*, 36(12). Pp. 1259–1278.

34. إب. 18 سنة. من قرية أبو فلاح - رام الله.

إنّ آليّة عمل الشرطة الإسرائيليّة في منطقة القدس والداخل التي تنعكس في إقصاء واستبعاد الفلسطينيين من الحيّز العامّ، ومن ثمّ قمعه والتقاعس في أداء واجباتها تجاههم هو جزء من سياسة الحكومة لضبط هذا المجتمع وإحكام السيطرة عليه. فالدولة تسنّ القوانين وتستخدمها كأداة لتجريم الفلسطينيّ بواسطة ربطه بالعنف، ومن بعدها تعرض إحصائيات الشرطة كأحداث اجتماعيّة لا علاقة لها بالسياق الاستعماريّ الاستيطانيّ، وهذه صورة من طبيعة حياة الفلسطينيّ كما فسّرها حسنين.³⁵ فعلى سبيل المثال، فُرِضت في مدينة القدس عدّة قوانين، منها قانون التفتيش، وقانون الإرهاب، ومنع إنشاء مؤسّسات خاصّة بالفلسطينيّين. تعبّر هذه القوانين عن طبيعة المواجهة مع الشرطة الإسرائيليّة، أداة المنظومة الأمنيّة التي تطبّقها وبواسطتها تجرّم الفلسطينيّ. إنّ هذه القوانين هي جزء من القوّة الماديّة الإسرائيليّة التي تُفرض على الفلسطينيّين في القدس، وطبيعة مواجهة الشرطة الإسرائيليّة والقوّة الممارّسة ضدّ الفلسطينيّين تتحوّل إلى نقطة انطلاق بناء وتكوين صورة الشرطيّ لديهم، التي تتسم بالعداء والحقد، إلى جانب معرفة واقعيّة لرمزيّة الشرطة الإسرائيليّة، وهو ما أدّى إلى خلق شعور اللاشعوريّة على الرغم من المعرفة الماديّة والرمزيّة لجهاز الشرطة الإسرائيليّة.

ففي اللحظة التي أصبحت فيها هذه القوانين مصدر إقصاء للفلسطينيّين عن الحياة في النظام الاجتماعيّ الاستعماريّ، أصبح الطريق أمام فعل الاحتكار مهيباً من خلال ضبط سلوكهم وفق القوانين التي سُرّعت ضدّهم والتي باتت محرّك صناعة الجرم والتجريم بناءً على جريمة اصطنتعتها قوانين الدولة. وبحسب حسنين، القوانين التي تسنّها الدولة الاستعماريّة ضدّ الفلسطينيّين تقف وراء اللقاء المباشر والاحتكاك العدوانيّ بين الشرطة الإسرائيليّة والفلسطينيّين، وهي -أي القوانين- تسهم في بناء وتعزيز دور الهويّة في بلورة صورة الشرطيّ.³⁶

تُجسّد مدينة القدس الميدان الحَصَب لقراءة الواقع الذي تُشكّل من خلاله تصوّرات الفلسطينيّ للشرطة الإسرائيليّة. فالقدس كمدينة صراع مستمدّ مثلت فيها حالة عسكرية الشرطة الإسرائيليّة، وانتشار مكثّف لمختلف أنواع القوى الأمنيّة فيها من أجل الضبط والسيطرة؛ ففيها (في القدس) ينتشر حرس الحدود، ووحدات الإنفاذ "إدارة الإشراف على البناء" التي يتطلّب عملها التنسيق الأمنيّ مع الشرطة أثناء عمليّة الهدم من أجل تأمين المنطقة -تشرف على هدم منازل الفلسطينيّين الذين لا يُمنحون التراخيص للبناء-.³⁷ بدأ هذا التوتّر بعد السيطرة الإسرائيليّة على الجزء الشرقيّ من مدينة القدس بعد حرب حزيران عام 1967، وعمل الحكومة الإسرائيليّة الدؤوب لدمج هذا الجزء مع سائر أجزاء المدينة، غير أنّ الحضور الفلسطينيّ في هذا القسم الراض للوجود الإسرائيليّ فيه يعرقل هدفها، فأعمال المقاومة الفلسطينيّة في هذا القسم نشطة ومستمرّة، ولا سيّما في سلوان والطور ومخيم شعفاط. يواجه الفلسطينيّون في هذه المنطقة كلّ أشكال الرقابة الإسرائيليّة البشريّة (الأمن والشرطة) والتكنولوجيّة (الكاميرات المزروعة في كلّ مكان).³⁸ استناداً إلى هذه العوامل، حلّصت دمبر إلى أنّ القدس ليست مدينة ما بعد صراع وفق تعريف هيلز للمدن في حالة ما بعد الصراع؛ وذلك بسبب سياسات الشرطة الإسرائيليّة فيها التي تعكس عدم قبولها وعدم شرعيّتها عند الفلسطينيّين بسبب طبيعة الاحتكاك المباشر مع الشرطة الإسرائيليّة في هذه المنطقة.

أنا عارفة إنّو هو 90% مش موجود عشاني، أنا بتخيّل هو موجود عشان يخدم الإسرائيليّين، ولما يحتكّ فيّ، فهو بحتكّ عشان يكون ضدّي، يعني بالنسبة إليّ الأكثر من الشرطيّ الإسرائيليّ الكاميرا الإسرائيليّة، هي الشرطيّ بالنسبة إليّ، هي الكاميرا إليّ بتصلّ محطوطة بكلّ محلّ بالقدس وكمان عنّا هون كلّ شويّ بضلّوا يطيروا طيارات بشكل مش طبيعيّ، كلّ يوم 20 طيّارة، وفوق المخيم فيه زّانة، الطيّارة بتصلّ تلقّ وتصوّر 24 ساعة. فبالنسبة إليّ هاي الكاميرا هي الدولة الأمنيّة /الشرطيّ الإسرائيليّ إليّ بتعلّكّ على الخطوة.³⁹

35. Hassanein, Sohail H. (2017). Crime and policing in a settler-colonial context: The case of Palestinians in Israel. [Research on Humanities and Social Sciences](#), 7(24). Pp. 131-145.

36. Ibid.

37. Dumper, Michael. (2013). Policing divided cities: Stabilization and law enforcement in Palestinian East Jerusalem. [International Affairs](#), 89(5). Pp. 1247-1264.

38. Ibid. P. 1251.

39. د. هـ. 20 سنة. من منطقة بيت لحم.

إنّ مواجهة الفلسطينيين في الضفة الغربية للشرطة الإسرائيلية ليست بمعزل عن السياسات الإسرائيلية تجاه الضفة الغربية التي تدفع صوب الاحتكاك اليومي المباشر بين الفلسطينيين (الخاضعين قانونيًا للسلطة الفلسطينية وفق اتفاق أوسلو)، والشرطة الإسرائيلية على اختلاف أذرعها على الطرق في مناطق الضفة والحواجز. وعلى ذلك، شكّلت صورة الشرطي الإسرائيلي لدى الفلسطينيين في الضفة الغربية وفق السياسات الإسرائيلية التي فرضت الاحتكاك بينهم؛ فالسياسات الإسرائيلية المتّبعة للتقسيم والسيطرة على الضفة الغربية، المتمثلة بالطرق الالتفافية والحواجز العسكرية والاستيطان في المناطق الفلسطينية، ولا سيّما مدينة القدس، تُفضي إلى وجود دائم للشرطة الإسرائيلية وحرس الحدود على الطرق.

يمثل حرس الحدود القوّة الأمنيّة التابعة للشرطة على الحواجز، بالإضافة إلى عناصر الجيش الإسرائيلي التي تتواجد في مناطق الضفة، ووفق ذلك فإنّ الفلسطينيين من هذه المناطق يبني تصوّره تجاه الشرطة وفق ما يتعرّض له من احتكاك مباشر وغير مباشر مع عناصر الشرطة الإسرائيلية (شرطة المرور وحرس الحدود). هذا التصوّر أدّى إلى عدم قبولهم لهذه المنظومة الأمنيّة وتوصيفها باللا-شرعية. وتختلف طبيعة احتكاك الفلسطينيين بالشرطة وفقًا لمناطق وجودهم (الفلسطينيين) الجغرافيّة التي تسند على نحوٍ أساسيٍّ إلى طبيعة السياسة الإسرائيلية المتّبعة في كلّ حيّز وحيّز، إلّا أنّ ذلك لم يحلّ دون أن يرسم الفلسطينيون صورة مُشتركة مرتبطة برواية هويّتهم عن منظومة الشرطة باعتبارها أداة من أدوات الاستعمار الإسرائيليّ لفلسطين، التي تتعامل معهم وفق ذواتهم المعرّفة سياسيًا بهويّتهم.

هو بالأخير شرطي، والشرطة هي وحدة من أجهزة أمن الدولة يعني. هلّا عدا هو عن إنّو شرطي كشرطي ووظيفته الأمنيّة "مخالفات السير - والجرائم" هو برضو شرطي إسرائيلي، ففي مستوى ثاني من نظرتي لإلو إلي هي المستوى الاستعماري، هو مش شرطي كأّي شرطي بالدينا، هو شرطي استعماري، هو مستعمر ومستوطن، فهما صورتين لهاد الشرطي. هلّا شرطي، زي أيّ دولة بالعالم، عندها هاد الجهاز الموجود بالشوارع بين السيّارات اللي بدو ينظّم السير أساس الأمور تمشي تمام، إذا فيه أيّ مشاكل بالشارع، طوشة وما طوشة ومخدرات، زيّ هاي المشكلات... في جهاز موجود عند أيّ دولة بالعالم مهمّته يتبع ورا هاي الأمور عشان النظام يمشي قدر الإمكان بطريقة صحيحة. فهاد أوّل صورة للشرطي، بالنهاية هو شرطي.

الصورة الثانية هو شرطي إسرائيلي، شرطي مستعمر، هو شرطي مستوطن، تمام هو ممكن عم يشتغل ويندفعله مصاري عشان هو ينظّم السير، بس هو بالأخير بضلّ مستعمر وبضلّ مستوطن، بضلّ بدو صلاحية يعمل إلي بدو إياه للفلسطينيين لمجرّد هو مستعمر/مستوطن، صلاحية تفوق صلاحية كشرطي. علينا إحنا كفلسطينيين. يعني على الإسرائيلية ممكن يوقف سيّارة صفرا بمخالفة سير، مخالفة سير خلّصنا. بس الفلسطينية ممكن يتعدّى هاي الصلاحية ويصقّي بدو يستوقفه على مزاجه، وتحت مسميّ إنّو شرطي، يعتقله واحد ولا يضربه. الصورتين متداخلات مع بعض.⁴⁰

5. الخلاصة

سلّطت سرديات المشاركين/ات في المقابلات الضوء على صورة الشرطي الإسرائيلي في وعيهم، ولم تختلف هذه الصورة عمّا جاء في تحليل رمزية الشرطي الإسرائيلي لدى الفلسطينيين بل كانت مَسندًا وتعزيرًا لما جاء في التحليل. ولا يرى الفلسطينيون الشرطي الإسرائيلي إلا جزءًا من المنظومة التي تمارس القمع والاضطهاد ضده، وأداة من أدوات الاحتلال والاستعمار -وهو المفهوم الغالب في توصيف الشرطي-. علاوة على ذلك، هذا الشرطي مؤشّر لحالة غياب الأمن والقانون عند غالبية الفلسطينيين إلى جانب اعتباره عددًا داخل أراضيهم المحتلّة.

وللإجابة عن السؤال الذي طرحناه في البداية، بشأن صورة الشرطي الإسرائيلي لدى الفلسطينيين في ثلاث مناطق جيو-سياسية مختلفة، الصورة التي افترضنا أنّها تختلف بحسب المنطقة لاختلاف النسبي في طريقة حكم المنظومة الإسرائيلية للفلسطينيين في هذه المناطق، استخدمنا ثلاثة معايير لتوضيح معالم هذه الصورة: الاحتكاك والتواصل؛ اللامرعية؛ احتكار السيطرة. إنّ هدف المنظومة الإسرائيلية على اختلاف أساليبها وطرقها هو احتكار عملية السيطرة على الفلسطينيين بواسطة أداؤها الأمنية، الشرطة الإسرائيلية؛ فكانت النتيجة المباشرة لتحقيق هذا الهدف مواجهة واحتكاكًا بين الفلسطيني والشرطي الإسرائيلي. على الرغم من اختلاف ظروف وأوقات وتجارب المشاركين/ات في المقابلات، لم ينعكس هذا التباين على صورة الشرطي الإسرائيلي في وعيهم ولم يؤثر عليها، وهو على العكس ممّا افترضناه في مقدّمة الورقة.

فعلى الرغم من اختلاف طبيعة المواجهة بين المناطق الجغرافية، كانت الصورة الرمزية لمنظومة الأمن الإسرائيلية متشابهة لدى الفلسطينيين. تعكس هذه الصورة حالة من اللامرعية الناتجة عن عدم فاعلية رأس المال الرمزي (الأمني الإسرائيلي) في السياق الفلسطيني، وذلك لرفض الفلسطينيين البناء الرمزيّ الأول -دولة إسرائيل- الذي أنشأ ورفض المنظومة الأمنية. فشلت سياسة القوّة القسريّة التي مارستها إسرائيل لاحتكار السيطرة الرمزية على الفلسطينيين، فهي إن كانت قد احتكرت كلّ حياته الماديّة، لم تستطع أن تحتكره رمزيًا بسبب غياب الحدّ الثاني من العناصر المكوّنة لرأس المال الرمزيّ بحسب طرح بورديو (وهو الاعتراف). فحضور المعرفة وغياب الاعتراف، كما يبيّن المقابلات، أدّى إلى حالة اللامرعية. ففي حالة الفلسطينيين، ينبثق رأس المال الرمزيّ من واقعهم الماديّ المستعمر، فهم يعرفون أنّ المنظومة الإسرائيلية تعمل على إقصائهم وقمعهم من أجل السيطرة عليهم، ولكنهم يرفضون الاعتراف به. عدم الاعتراف هو مؤشّر للامرعية الاحتكار وبالتالي لاشرعية الشرطة الإسرائيلية.

وأخيرًا، ثمة تناقضات وحالات جدليّة يعيشها الفلسطيني في حياته اليومية إلى جانب جدليّة صورة الشرطي الإسرائيلي، فتصوّره لهذا الشرطي هو نتيجة التراكمات السابقة والمستمرّة في التشكّل نتيجة ما يعانيه ويمرّ به بسبب الجهاز الأمنيّ الإسرائيليّ بكلّ أذرعته. فمن الصعوبات التي جرّت مواجهتها أثناء إنجاز هذه الورقة عند اختيار المشاركات/ين النظرة الأمنية الإسرائيلية للفلسطينيين باعتباره تهديدًا، بحيث أصبح الفلسطيني يرى أيّ سلوك يقوم به خطرًا أمنيًا سوف يعرّضه للاعتقال. هذا السبب شكّل معضلة في إيجاد مشاركين -وتحديدًا من مناطق الضفّة الغربيّة- يقبلون المشاركة في الدراسة؛ إذ هم يرون أنّ مشاركتهم في موضوع مرتبط بالشرطة باعتبارها جهازًا أمنيًا قد ينعكس سلبيًا عليهم. في الواقع، لا يمكن لومهم بسبب هذا التوجّه؛ وذلك أنّ طبيعة الواقع السياسيّ منذ عام 2019 وخلال عام 2020 المتمثّل بحملات اعتقال واسعة ومكثّفة، وعلى وجه التحديد في صفوف طلبة الجامعات (عينة البحث الموجهة استهدفت طلبة الجامعات، بسبب تنقلهم المستمرّ بين مكان سكنهم والجامعة أو حركتهم بين مختلف المناطق بسبب نشاطاتهم المجتمعيّة أو الترفيهيّة)، وجامعة بيرزيت خاصّة -المنتمين إلى الحركة الطلابيّة-، هذه الطبيعة قد شكّلت حاجزًا نفسيًا بالنسبة لهم تحوّل إلى اعتبار كلّ قضية قضية أمنية خطيرة. على الرغم من ذلك، جرى التواصل مع بعض المشاركين من مناطق الضفّة الغربيّة الذين قبلوا المشاركة في الدراسة.



مدى الكرمل

المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية